

وسائل الإعلام في ضيافة الأخلاقيات الإحيائية في "الأميركية"

عبدالله رولا



وجّه المؤتمر الإقليمي الرابع حول "الاعلام والأخلاقيات الإحيائية"، الذي ينظمه برنامج سليم الحص للأخلاقيات والاحتراف في الجامعة الأميركية في بيروت في فندق "غولدن توليب"، رسالة عتب "بوجهين" الى الاعلام اللبناني الذي لم يعط المؤتمرات السابقة أهمية على الرغم من جدية الموضوعات المطروحة، بالإضافة الى إطلاقه الأخبار الصحية باعتبارها "سكوبات" من دون متابعة نتائجها الأمر الذي يعرّض في بعض الأحيان سمعة أطباء وأناس للتشهير قبل أن تثبت إدانتهم.

وإن جاء العتب على قدر المحبة، فإنّ مجال علم الأخلاقيات الإحيائية لم يترك مسألة صحية "جدلية" تعتب عليه من دون إخضاعها للجدل والتشريح والفلسفة بدءاً من حدود الحياة (الإجهاض والقتل الرحيم) الى التبرّع بالأعضاء، الى الحق في رفض الرعاية الطبية لأسباب دينية أو ثقافية.. وفي شتى الحالات تكون مهمة علماء

الأخلاق الإحيائية توظيف طاقاتهم وخبراتهم لانقاذ المريض، وإن تطلب الأمر نحر دجاجة في باحة المستشفى من باب التضحية لشفاء المريض؟ وما علاقة الدجاجة بالمريض؟ يضحك مدير مركز الأخلاقيات الإحيائية في مركز لانجون الطبي في جامعة نيويورك "آرثور كابلان" معللاً: "لعلها من بين الطقوس طلباً للصحة والشفاء، وحيال ذلك وجدنتي أرافق والد المريض الى باحة المستشفى لأتابع النهاية المأسوية للدجاجة التي افتدت المريض على حد زعم تلك الطائفة الدينية، وكل همي أن أحصل على الموافقة للشروع في العلاج". لكن الأمر قد يصطدم بمحظورات مثل تلك التي يتبعها "شهود يهوه"، ومنها عدم السماح بنقل الدم مهما كان السبب طارئاً الأمر الذي يضطر الطبيب للتحايل بشتى الطرق لاقتناع المريض وانقاذ حياته. وفي حال عدم الموافقة، على الطبيب احترام رغبة المريض، وهذه من صلب مبادئ الأخلاق الإحيائية إلا في حال كان المريض قاصراً عندها يمكن اللجوء الى القضاء لانقاذ حياة الطفل.

المؤتمر الذي رعاه وزير الاعلام وليد الداوق وغاب عنه بداعي السفر الى الصين، موفداً عنه مديرة الوكالة الوطنية للإعلام لور سليمان، أسهم في تبديد الصورة الضبابية لعلم الأخلاق الإحيائية أمام مندوبي الإعلام اللبناني، وهو الأمر الذي أشارت اليه سليمان، إذ تمننت "أن تكون الأخلاقيات المهنية هي التي ترسم أفق المستقبل. فمتى فقدت، يصبح العمل الإعلامي وسيلة للتجريح". وأسفت الى كون "بعض وسائل الإعلام تنحرف عن دورها المسؤول، فتنحول الرسالة الاعلامية الى تجارة بالانسان. ولكن هناك اعلام ملتزم يتخذ من الانسان وهمومه وهواجسه هدفاً".

ومركز الطبيب كمال بدر على ضرورة فهم الطبيعة البشرية من أجل تواصل سليم بين الطبيب والمريض. وقال: "نحن في لبنان بحاجة ماسة الى حقن كبير للأخلاقيات الاعلامية".

أما المديرة المؤسسة للبرنامج ونائب رئيس لجنة الأخلاقيات في المركز الطبي في الجامعة الأميركية تاليا عراوي، فانطلقت من السؤال: "لماذا الإعلام والأخلاقيات؟". وهي ربطت بين الاعلام الغربي ووجهة النظر المغلوطة التي شكلها لدى شريحة كبيرة من متلقيه ممن ضلوا في تقصي أخبار الحرب على العراق أو لجهة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي. وانتقدت في الجانب الصحي السماح للاعلانات التي تروج لمشروبات الطاقة والمستحضرات الدخيلة على الطب من دون التأكد من انعكاساتها السلبية على الانسان.

وفي مثال آخر، لفتت الى حالة "ريتا جبرائيل" التي أثارت جدلاً إعلامياً اتهم في إثره الطبيب بالتقصير وهو الخبر الذي تناقلته وسائل الاعلام مشهورة به من دون متابعة مجريات التحقيق الذي ثبت في محصلته براءة الطبيب وهو الخبر الذي لم تكثر له وسائل الاعلام. وتمنت عراوي على وسائل الاعلام تخصيص زاوية صحية تكون مرجعاً موثوقاً للمواطن في تقصيه حقائق الأمور الطبية.

واستعرض كابلان بدايات النضال في مجال الأخلاق الإحيائية. فاذا بموضوع "طفل الانبوب" يثير جدلاً من بداياته، وما زال غير مرحب به في الولايات المتحدة الأمر الذي استدعى تكفله من قبل أفراد يؤمنون بجذواه. ورأى أن مجرد الحديث عنه في الثمانينات كان يعرض الطبيب الى المخاطرة بمستقبله المهني.

رئيس دائرة علم الاجتماع في الجامعة الأميركية نبيل دجاني قدم جوجلة في تاريخ الصحافة الذي شهد فئتين، إحداهما تقبل الرشوة في سبيل الاستمرار، والثانية حاربتها كرمى لقناعات لم تخترقها مافيا المال. واعتبر أن الديمقراطية والحرة وحقوق الانسان هي القيم التي باتت موضوعة جانباً هذه الأيام خوفاً من تهديدها لمصالح الدول والشركات.